جامعة محمد خيضر – بسكرة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ المقياس: التيارات والأحزاب السياسية في الوطن العربي
الأستاذ: بكرادة جازية . السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر

المحاضرة: المقاومة في بلاد الشام والعراق للطلبة النهائية

شهدت منطقة المشرق العربي مطلع القرن العشرين تحولا مأساويا في بنيتها السياسية والجغرافية، إذ كانت الشعوب العربية في كل من بلاد الشام والعراق قد وحدت صفوفها من أجل إخراج الدولة العثمانية من أقطارها لتنال الاستقلال و تحكم نفسها بنفسها ،وهذا بمساعدة بريطانيا أو ما يعرف بالثورة العربية الكبرى،و التي انتهت بدخول الملك فيصل إلى دمشق وإعلانه ملكا عليها، ولكن اصطدمت هذه الشعوب بواقع مر فرض عليها وهو الانتداب البريطاني والفرنسي الذي أقره مؤتمر سان ريمو 1920 ،فتجزأت بلاد الشام إلى سوريا ولبنان كبير،ثم جزأت فرنسا سوريا إلى عدة دويلات طائفية، وكانت فلسطين و شرقي الأردن والعراق من نصيب بريطانيا.

قرر القادة العرب ومثقفوها بعد فشل المقاومات العسكرية الانتقال الى النضال السياسي ،فظهرت عدة أحزاب سياسية بتياراتها المختلفة، هدفها تفعيل الحياة الدستورية والبرلمانية ونيل الاستقلال.

المقاومة في العراق:تميزت الفترة الممتدة من 1920 إلى 1930 بأن الأحزاب العراقية كانت ضعيفة التكوين ومتشابهة إلى حد كبير في أهدافها والمتمثلة في تحقيق الاستقلال التام للعراق ووحدته والتحرر من الانتداب، ومنع تدخل البريطاني في الشؤون الداخلية والمطالبة بالحياة البرلمانية والدستورية .

- محدودية المجال لا تستند إلى قاعدة جماهيرية واسعة ومنظمة،و لم تعمر الأحزاب طويلا سرعان ما كانت تنتهي، وبالتالي لا تحقق هدفها -الاشخاص المؤسسين لحزب معين سرعان ما ينقلبون على حزبهم وينضمون الى حزب اخر ،وهذا من اجل تحقيق غايات معينة هدفهم هو كيفية الوصول الى السلطة ما ادى الى انشغالهم بالصراع فيما بينهم

-كانت البداية صعبة ويكتنفها الغموض الا انها ساعدت في النضج السياسي عام بين ابناء المجتمع

-يمكن تقسيم الأحزاب السياسية العراقية حسب ظهورها الى فترتين متباينتين الاولى قبل الحياة النيابية اهم أحزابها: الحزب الوطني (جعفر ابو الثمن) ، وحزب النهضة الوطنية (امين الجرجفجي)،و حزب الحر العراقي وحزب الامة، اما المرحلة الثانية فهي مرحلة الاحزاب في المرحلة البرلمانية وقد أسسوا حزب التقدم(وانشق عنها حزب كتلة الوسط)، وكذا حزب الشعب، حزب الاخاء الوطني يتنافس فيه شخصيتين هما رشيد علي الكيلاني وياسين الهاشمي وكان ينادي بالاستقلال، وآخر حزب وهو حزب العهد الموالي للسلطات البريطانية

-كما ناضلت بعض الاحزاب بمدينة الموصل حتى تبقى هذه المدينة ضمن الانتداب البريطاني وتابعة للعراق،و احزابها :حزب الاستقلال العراقي 1924 ،وحزب الوطني العراقي 1925 وبمجرد تحقيق هذا الهدف حلت نفسها.

بعد تتويج فيصل الأول ملكا على العراق قام بتأسيس المجلس التأسيسي من أجل وضع الدستور استقلال العراق وفق النظم الديمقراطية، الا ان الشعب العراقي عارض المعاهدة الانتداب ودعا لمقاطعة الانتخابات لمجلس التأسيسي وصدرت بعض الفتاوى من رجال الدين بتحريم الاشتراك بالانتخابات ما لم تستجب الحكومة لطلب الغاء الادارة العرفية البريطانية

واطلاق سراح المطبوعات والاجتماعات وسحب المفتشين البريطانيين من الأولية العراقية، اعادة المنفيين الى وطنهم فرضخت الحكومة لكل مطالبهم وتم الانتخابات في 12 جويلية 1923 وسن الدستور العراقي علي في 02 اوت 1924.

معركة المعاهدات1922و1933: وقع الملك في 10 اكتوبر 1922 معاهدة مع البريطانيين تؤكد صك الانتداب، فلم يقبل السياسيون العراقيون ورجال الدين(جعفر العسكري وياسين الهاشمي...)،ولاحتى عامة الشعب بصيغة الانتداب المباشر، عن طريق الاحتجاجات ومهاجمة الصحف لها،فاضطرت الحكومة الى قمعها وتهديد المندوب السامي انه في حالة عدم تحديد الموقف من هذه المعاهدة قبل 10-06-1924فانه سوف يحل المجلس التأسيسي، فوافق العراقيون بعد ان تعطهم الحكومة البريطانية وعد بتعديل المعاهدة، وتم قبولها بأغلبية الاصوات في المجلس التاسيسي، ووافقت وزارة عبدالواحد سعدون على المعاهدة واقرتها أيضا مجلس عصبة الامم في07-09-1924

كان للقبائل و للنفوذ العشائري دور كبير في السياسة العراقية فقد تمتع حزب التقدم(عبدالمحسن سعدون سنة1925) بتاييد ونفوذ عشائر في منطقة الفرات الاوسط. فقد نجح حزب الشعب في كسب ولاء العشائر واستمرار علاقتهم به وتاييدهم له في المجلس التاسيسي

كان هناك صراع بين حزب التقدم وحزب الشعب الذي شكله ياسين الهاشمي وكان وراء هذا الصراع الملك فيصل الاول احيانا ودار الاعتماد البريطاني احيانا اخرى وكان هذه الحزبين يتنافسان في الانتخابات المجالس النيابية

معاهدة 1930 : وقعتها حكومة نور السعيد مع بريطانيا بعد ما كسب تاييد احد رجال المعارضة وهو "مزاحم الباجه جي" ونصت المعاهدة على انتهاء الانتداب مقابل التحالف عسكري لمدة 25 سنة يمنح بريطانيا قاعدتين جويتين الحبانية والشعيبة وبالتالي اعتبر هذا الاستقلال استقلالا منقوصا، هذا الامر رفضته المعارضة الوطنية مثل الحزب الاخاء الوطني التي اعتبرتها استقلالا مقيدا يرهن سيادة العراق لبريطانيا، ثم اصبح العراق اول بلد عربي ينضم الى عصبة الامم سنة 1932 كدولة مستقلة

وقد رفض الشعب العراقي هذه المعاهدة ونظم مظاهرات ضدها فلم يستطيع نور السعيد ايقافها وزاد الوضع الشؤون بعد استقالة رئيس المجلس النيابي جميل المدفعي احتجاجا على تصرفات وزير الداخلية وخاض السياسيون العراقيون نضالا الهدف منه تحويل العلاقة من تابع ومتبوع الى حليفين، ان اتفق الحزب الوطني العراقي وحزب الاخاء الوطني في 10 نوفمبر 1930 على اقامة جبهة وطنية للعمل على تعديل معاهدة العراقية البريطانية وحل المجلس النيابي واجراء انتخابات جديدة وتشكيل حكومة جديدة هذا الاتحاد انتهى بسبب تشكيل حزب الاخاء للوزارة في 20 مارس 1933 كما جمد جعفر ابو الثمن نشطه الحزبي مما ادى انقسام الاعضاء الحزب الى قسمين قسم مؤيد اخر معارض

بعد وفاة الملك فيصل الاول دخل العراق مرحلة من الغليان السياسي الداخلي: ضعف الاحزاب السياسيه وكثرت التمردات العشائرية (مثل انتفاضات الفرات الاوسط) ادت الى تدخل الجيش الذي احدث الانقلابا عسكريا عام 1936 قاده بكري صدقي فادى هذا الانقلاب الى عسكرة السياسة العراقية،ورغم طابعه العسكري الا انه تعبيرا عن احتجاج سياسي، وبدا التدخل المباشر في تعيين الحكومات واقالتها وهو ما عرف بنفوذ العقداء الاربعة لاحقا

تولي الملك غازي سنة 1933 العرش بعد وفاة والده الملك فيصل الاول والذي اتصف بالعداء الصريح لبريطانيين ما اكسبه شعبية ومحبة من العراقيين ورفضا من البريطانيين وقد لقي مصرعه بحادثة غامضة في حادثة سيارة 1939 واتهم العراقيون بريطانيا لمقتله نظرا لميول الملك القومية وتولى بعده الامير عبد الاله الوصاية على العرش لصغر سن الملك فيصل مما اعاد نفوذ لبريطانيا بقيادة نور السعيد الى الواجهة.

المقاومة السياسية في بلاد الشام:

لم يعترف سكان بلاد الشام بالتقسيم الذي حدث اثر دخول المنطقة تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني ،فشكلوا شبكات مقاومة سياسية عابرة للحدود المصطنعة، واعتبر السوريون واللبنانيون والاردنيون ان قضيتهم واحدة لا سيما في مواجهة الانتدابين البريطاني والفرنسي والمشروع الصهيوني ولهذا نلاحظ انهم عقدوا المؤتمرات واسسو الاحزاب مثل حزب الاستقلال الذي اسس في سوريا 1920 من كوادر جمعية العربية الفتاة وكان الحزب الحاكم في العهد الملك فيصل وبعد خروج هذا الاخير من سوريا فر رجال الحزب الى كل من الاردن وفلسطين وهناك اسس مرة اخرى هذا الحزب في الاردن شكل حزب الاستقلال اول حكومة في التاريخ الاردن برئاسة رشيد الطليع لبناني الاصل استقلال الهواء وبضغط من بريطانيا أمروا الامير عبد الله لاخراجهم من الاردن ،وهو ما ادى في النهاية الى تقليص نفوذهم السياسي في عمان سنة 1924، اما في فلسطين فانتقل فكر الحزب اليها بشكل مؤسسي عام 1932 برئاسة عوني عبد الهادي يعتبر اول حزب فلسطيني يرفع شعار الاستقلال لا يتجزا معتبرا ان قضية فلسطين تحل بالوحدة مع سوريا والاعتماد على الذات العربية وليست التفاوض مع بريطانيا وقد لعب هذا الحزب دورا محوريا في التنسيق لاضراب 1936 ، كان تنظيما عابرا للحدود وقد عقد هذا الحزب عدة مهرجانات ومؤتمرات كالمؤتمر العربي في القدس في 13 ديسمبر 1931 وأصدر بيانات عديدة منها بيان الحزب في ذكرى احتلال القدس دعا فيه الى مواصلة الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية. اضافة الى هذا الحزب كانت هناك عائلتين تتنافس معه وتعارضه احيانا وهي عائلة النشاشيبي وآل الحسينيين هاتين العائلتين قامت بتنظيم وفود سياسية للسفر الى لندن وتقديم احتجاجات رسمية لكنها كانت تفتقر في تلك البدايات الى تنظيم الحزبي الحديث وفي الثلاثينات انتقل العمل السياسي من النخب العائلية الى الاحزاب المنظمة فظهر حزب الاستقلال كقوة قومية شابة تطالب بالقطيعة مع بريطانيا وبجانبه حزب الاصلاح وحزب الكتلة الوطنية ،وفي عام 1936 توحدت هذه الاحزاب في **اللجنة العربية العليا** وهنا برز تكتيك توزيع الادوار فبينما كان حزب الاستقلال يحشد الشارع والمقاتلين كان باقي الاحزاب الاخرى يفاوضون بريطانيا لوقف الهجرة الصهيونية لتنتهي هذا النضال في عام 1939 بصدور الكتاب الابيض البريطاني ،الذي كان محاولة لامتصاص الغضب العربي قبل الحرب العالمية الثانية لكن ضربات الامنية البريطانية نفت القادة كالحسين الخالدي وملاحقة مفتي القدس ادت الى اضعاف هذا التعاون الحزبي ما جعل العرب يدخلون الحرب العالمية الثانية وهم مشتتون سياسيا في حين كانت المنظمات الصهيونية تبني هيكلتها العسكرية والسياسية بالقوة

اما في سوريا ولبنان فكانت الحركة الوطنية تخوض معركة دستورية برلمانية في سوريا تاسست الكتلة الوطنية التي قادت مسارا طويلا من المفاوضات لمطالبة بالدستور الذي رفض في1928لانه يؤكد الوحدة والاستقلال،ليصلوا الى القطيعة وتوقيف الجمعية التأسيسية، وقد شهدت سوريا نضجا سياسيا كبيرا في الثلاثينات من القرن الماضي، فاصدار المفوض السامي في 14 ماي 1930 دستورا سوريا الجديد وسماه القانون الاساسي للدول المشمولة بالانتداب الفرنسي وكان مخالفا لما طلبه الوطنيون سنة 1922 فرفضه الشعب السوري وعمل استنكار في جميع المدن سوريا وارسال برقية احتجاج الى عصبة الامم والى مفوض السامي في باريس وقعت المعاهدة السورية الفرنسية في 16 نوفمبر 1934 ادى لموجة عنيفة من الغضب في الشارع السوري ورفضت الكتلة الوطنية الاعتراف بوزارة الشيخ تاج الدين الحسيني اهم ما قامت به هو حركة مقاطعة الكهرباء عام 1934 والتي تحولت الى انتفاضة السياسية وطنية عمت المدن السورية فلدت إلى الاعتقالات واسعة بين صفوف الوطنيين وتوج النضال بالإضراب الستيني في 10-01- 1936، الذي شل البلاد تماما وهو اطول عصيان مدني في المنطقه ما اجبر فرنسا على مفاوضات مع وفد الكتلة الوطنية بباريس انتهت بتوقيع معاهدة الاستقلال1936/9/9. اعترفت باستقلال سوريا ووحدتها رغم انها تضمنت ملاحق عسكرية لصالح فرنسا، وبعد التفاؤل الذي ساد عقب توقيع هذه المعاهدة دخلت سوريا في نفق مظلم نتيجة التحولات السياسية في فرنسا وتصاعد التوترات الدولية، اذ رفض مجلس الشيوخ الفرنسي المصادقة على هذه المعاهدة وبقيت حبر على ورق كما اقدمت فرنسا سنة 1939 بتسليم لواء الاسكندرونة لتركيا فساده

الفوضى السياسية والاحتجاجات ما ادى الى رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي بتقديم استقالته في جويلية 1939، وقامت فرنسا بتعطيل الدستور وحل البرلمان واعادة الحكم المباشر عبر مجلس المديرين لتعود سوريا الى مربع الاول من المواجهة مع الانتداب مع الحرب العالمية الثانية ،وانتقل عدوى هذا الاضراب الى لبنان ثم فلسطين الذي دام بها مدة ستة أشهر، ما جعل سلطات الانتداب البريطاني ترسل لجنة التقصي الحقائق وهي لجنة بيل، 1937.

الاردن رغم اعتراف بريطانيا باستقلال الادارة الاردنية عام 1923 الا انها ماطلت في ابرام معاهدة رسمية لمدة خمس سنوات وقد وقعت معاهدة في 20 فيفري 1928 وهي امتداد لصك الانتداب ما اثار سخط الاردنيين وعقدوا مؤتمر الوطني الاول في جويلية 1928 تمخض عنه الميثاق الوطني الاردني واكد هذا الميثاق ان الاردن دولة مستقلة ترفض الانتداب الا كمساعدة فنية ورفض وعد بلفور وتحمل النفقات قوات الاحتلال، كما شهدت الحياة البرلمانية صراعا حادا بين المعارضة والسلطة ففي 1931 حل المجلس التشريعي الاول لرفضه تخصيص مبالغ مالية لقوة البادية بقيادة كلوب ،كما عارضت شخصيات في هذا المجلس التغلغل الصهيوني والسيطرة البريطانية على الادارة (امثال: حسين الطراونة وعادل العظمة)

اما لبنان فكان الصراع في لبنان بين المسيحيين الموارنة والمسلمين وبين القوميين والقطريين، محول الوطنيون صياغة الهوية السياسية للدولة الناشئة لبنان الكبير وقد بلغ ذروته بوضع دستور 1926ثمتم توقيع معاهدة صداقة وتحالف بين لبنان وفرنسا سنة 1936،والتي لم تصادق عليها فرنسا لاحقا، ثم عدل الدستور سنة 1943 حيث الغيت المواد التي كانت تمنح فرنسا صلاحيات انتدابية مما أدى إلى اعلان الاستقلال، وهذا بعد توحيد الأحزاب في كلتة واحدة وهي الكتلة الدستورية.